وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية العلوم الاسلامية/قسم التفسير وعلوم القرآن

مادة الأعجاز القرآني

الفصل الثاني

مدرس المادة:أ، د.فرمان إسماعيل إبراهيم

المحاضرة الأولى

وجوه الإعجاز

للعلماء في وجوه الإعجاز أكثر من مذهب ، يرى بعضهم أن القرآن معجزة لغوية بيانية فحسب ، وذهب أكثرهم إلى أن القرآن معجز من أكثر من وجه.

ومن الوجوه التي ذكروها :

١- الإعجاز بالنظم
٢- الإعجاز بالأسلوب .
٣- الإعجاز بعدم التناقض .
٤- أخبار الماضي .
٥- أخبار المستقبل .
٦- الإعجاز التاريخي .
٧- الإعجاز الأخلاقي .
٨- الإعجاز النفسي .
٩- الإعجاز الروحي .
١١- الإعجاز التشريعي .
١٢ الإعجاز العلمي .
١٣- الإعجاز العددي .
١٤الإعجاز التربوي .

إلى غير ذلك مما عددوه ، ولكننا نجد أن كثيرا من هذه الأوجه يندرج مع غيره ، فالإعجاز الخلقي والتربوي يمكن أن يندرج في الإعجاز التشريعي ،

والأسلوب والنظم نستطيع أن نجعله كله في باب واحد وهو الإعجاز البياني ،.
وعلى هذا فالأوجه التي سنتحدث عنها :

١- الإعجاز البياني .
٢- الإعجاز العلمي .
٣- الإعجاز التشريعي
٤- أنباء السابقين وأخبار المستقبل .

.

الفصل الأول : الإعجاز البياني

أهمية الإعجاز البياني :

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم الإعجاز البياني ، لأنه يشمل سور القرآن الكريم كلها ، فهو عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها ، بل هو في كل آية – تكون على مقدار السورة القصيرة – أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك ، فأنباء الغيب مثلا ليست موجودة في كل آية من القرآن ، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي ، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها ، والإعجاز البياني إنما يرجع في لبه وجوهره إلى النظم و نعني بالإعجاز البياني الذي يقوم على النظم : ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة ، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى ، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة ، وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته ، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بعد أن تفسر لهم. فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه { وارزقوهم فيها واكسوهم] [النساء : ٥] اختيرت فيه كلمة (في) على كلمة (منه) لأمر اقتصادي ، وهو أن رزق أولئك ينبغي أن يكون مما تنتجه الأموال ، لا من أساسه ورأسه ، فإن غير العربي يمكن أن يعرف هذا حين تفسر له معاني القرآن .

الكلمة القرآنية وقيمتها عبر العصور :-

وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع ، والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة ، والنظام المطلوب ، تحركت الآلة . وإلا ظلت جامدة .

قيمة الكلمة في العصور السابقة :-

ولا عجب أن نجد العرب في عصورهم الأولى يجهدون أنفسهم في اختيار هذه الكلمة والبحث عنها وانتقائها

من ذلك ما يروي عن حسان حينما أنشد :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ..... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقيل له : لو قلت : (يسطعن في الدجى) بدلا من يلمعن ، ولو قلت : (يجرين) بدلا من يقطرن لكان أولى.

فإذا تجاوزنا العصر الجاهلي وجدنا ذلك واضحاً في العصر النبوي من ذلك: نبينا محمد – ﷺ – وهو يوجه الصحابة رضوان الله عليهم – ومن بعدهم الى مكانة الكلمة فيقول : (ولا يقولن أحدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقسِت نفسي) متفق عليه واللقس: الغثيان.

وفي العصر الاسلامي ، كان للكلمة منزلتها كذلك ، قال ابن الأثير: ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة (الغصن) ولفظة (العُسلوج) وبين لفظة (الأسد) ولفظة (الفَدَوْكَس) ، فلا ينبغي أن يخاطب ، ولا يجاب بجواب

خصائص المفردات القرآنية :

وإذا كان هذ افي كلام الناس ، فهو في كلام الله المتناهي في البلاغة أكثر وضوحاً وأشد ظهورا ، يقول الإمام ابن عطية - رحمه الله تعالى : وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد .

القيم التي تعطيها الكلمة القرآنية :

إن اختيار الكلمة القرآنية مع ما لها من قيمة بيانية نجد فيها قيما كثيرة قد تكون اقتصادية كما مر معك في قوله { وارزقوهم فيها واكسوهم] (النساء : ٥] وقد تكون تاريخية كما في قوله { وأغريعنا بينهم العداوة والبغضاء] [المائدة : ١٤] كما ستعرف فيما بعد ، وقد تكون علمية، وذلك كما نرى في قوله سبحانه إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت] [التكوير : ٢.١] ، وفي آية أخرى {إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت } [الانفطار: ٢,١] ألا ترى أن القرآن استعمل كلمتين اثنتين ، فبجانب النجوم ذكر الانكدار وبجانب الكواكب ذكر الانتثار ، ولما كانت النجوم مضيئة كانت الكلمة التي تلائمها وتناسبها ، ما ذكره القرآن الكريم (الانكدار) ، ولما كانت الكواكب ليست كالنجوم وإنما هي أجسام صلبة غير مضيئة بذاتها كانت الكلمة التي تناسبها (الانتثار) لأنها تتحطم أجزاؤها وتتناثر

من هنا كانت كلمات القرآن الكريم مقدرة خير تقدير ، معبرة أصح تعبير وأصدقه فاختيار الكلمة في موضع دون آخر ، وتقديمها في موضع دون آخر وذكرها في موضع دون آخر ، كل ذلك إعجاز كما سنطلعك عليه إن شاء الله تعالى.

أولا : دعوى الترادف في القرآن الكريم

الترادف هو تعدد الألفاظ مع اتحاد المعنى ، ،وهو غير المشترك لأن المشترك اتحاد اللفظ وتعدد المعنى وقد بحث العلماء هذين النوعين ، ولهم أبحاث قيمة ، أما قضية الترادف فلقد تحدث عنها أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية ، وابن فارس في " الصاحبي " والسيوطي في " المزهر " وكثير من المحدثين وكذلك قضية المشترك كتب فيها اللغويون والأصوليون ومن أوائل من كتب في المشترك المبرد ، فلقد كتب كتاباً بعنوان " ما اتفق لفظه واختلف معناه في كتاب الله

والذي يعنينا الآن قضية الترادف . والترادف عند مثبتيه أن يكون للكلمتين أو الكلمات معنى واحد ويظهر أن الحديث عن الكلمات التي تبدو لأول وهلة أنها مترادفة ، وتلمس ما بين هذه الكلمات من فروق

فوائد تحديد معاني الكلمات :

ولقد كان لهذه الملحوظات وما يشبهها أثر غير خفي في تفسير كتاب الله تبارك وتعالى فيما بعد ، فلماذا استعملت كلمة القيام في مثل قوله تعالى (فإذا أظلم عليهم قاموا } [البقرة : ٢٠] بينما استعملت كلمة الوقوف في مثل قوله سبحانه(ولو ترى إذ وقفوا على ربهم].[وقفوهم إنهم مسؤولون } ؟ [الصافات : ٢٤ أولم استعملت مادة القعود كثيرا في كتاب الله في مثل قوله سبحانه { وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين } التوبة : ٨٦] { وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع] معا الجن : ٩] ، { والقواعد من النساء } (النور : ٦٠) ، على حين لم تستعمل مادة الجلوس إلا في آية واحدة { إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فانسحرا يفسح الله لكم } : المجادلة : ١١] ولم استعملت كلمة الفعل في آيات وكلمة العمل في آيات أخرى ؟ إلى غير ذلك من أبحاث شيقة مفيدة تحدد لكل لفظ معناه الذي لا يشترك معه غيره فيه .

ولا بد أن نقرر هنا أن عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية ، قد حرم الناس من فوائد كثيرة وحال بينهم وبين إدراك متكامل لمدلول الكلمة ونرى كثيرا من كتب التفسير والمعاجم اللغوية كانت سببا في ذلك كله حيث التقت هذه الكتب والمعاجم على أن تعطي المعنى القريب للكلمة القرآنية ، فتشتبه المعاني ، وتختلط بعضها ببعض .

وإذا كان بعض العلماء يعد الترادف من خصائص اللغة ومفاخرها ، فإن كثيرين وقفوا من الترادف موقف السلبية والانكار ، وقد فطن بعض العلماء والباحثين لهذه القضية الخطيرة وما يمكن أن تحدثه من أثر سلبي في فهم المعنى وإدراكه فطرحوا قضية الترادف للبحث ، ولم يقتصر ذلك على الأقدمين فحسب ، بل تجاوزه إلى المحدثين كذلك.

لا ترادف في كتاب الله تعالى :

ولا يعنينا تفصيل هذه القضية هنا ، والذي نطمئن إليه ، وقد اطمأن إليه كثيرون قبلنا أن لا ترادف في كتاب الله تبارك وتعالى ، والكلمات التي ظنها بعض الناس مترادفة عندما تنعم النظر فيها ، نجد أن لكل معناها الدقيق ، واليكم طرفا موجزا نطلعكم فيه على بعض الكلمات التي يظن أنها مترادفة .

كلمات يظن أنها مترادفة :

١- الخوف والخشية :- لا يكاد كثير من الناس يفرق بينهما مع أن بينهما أكثر من فرق ،منها أن الخشية أعلى من الخوف وأشد منه . ولذا خصت الخشية بالله في كثير من الآيات ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢١] وفرق

بينهما أيضا بأن الخشية تكون من عظم المخشي ، وإن كان الخاشي قويا ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيرا . ويدل لذلك أن (الخاء والشين والياء) في تقاليبها تدل على العظمة نحو : شيخ : للسيد الكبير ، وخيش : لما غلظ من اللباس ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى (وإن منها لما يهبط من خشية الله} [البقرة : ٧٤] ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨] . وهذا الوجه الأخير هو

الذي اقتصر عليه الراغب الأصفهاني حيث قال : " الخشية : خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه " . ويرى السيد رشيد رضا - رحمه الله تعالى أن الخشية هي الخوف في محل الأمل ،

، فقوله سبحانه وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يشهد لما قاله صاحب المنار ، من أن الخشية خوف في محل الأمل ، ، ولا يتنافى مع ما قاله الراغب ، من أن الخشية : خوف يشوبه التعظيم ، .

٢- ومن الكلمات القرآنية التي يظن أنها بمعنى واحد هاتان الكلمتان : جاء وأتى . فالكلمة الأولى : تسند غالبا إلى الجواهر والأعيان ، بينما تسند الكلمة الثانية : إلى المعاني والأزمان . والمتتبع للآيات القرآنية يجد ذلك واضحا كل الوضوح ، قال تعالى : { ولمن جاء به حمل بعير] [يوسف : ٧٢] أي : بصواع الملك ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف: ١٨] ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ ﴾ [الفجر: ٢٣] ، وقال تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ [النحل: ١] ، ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ [يونس: ٢٤] .

وقد اجتمعت الكلمتان في قوله تعالى في سياق قصة لوط - عليه الصلاة السلام- {قالوا : بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون } الحجر : ٦٣ - ٦٤] ، فالذي جاؤوا به العذاب ، وهو أمر مشاهد ، والذي أتى به الحق . وقد ذهب الراغب إلى أن الإتيان إنما هو : المجيء بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء ، ومنه قيل : للسيل المار على وجهه أتى وأتاوي . أما قوله تعالى : { فلما

جاء أمرنـا نجينا صالحا والـذيـن آمـنـوا مـعـه] هود: ٦٦] وقوله سبحانه { فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] [الأعراف : ٣٤] . فإن المتحدث عنه في الآية الأولى : هو العذاب ، وفي الآية الثانية هو : الموت ، وكأنه أمر مشاهد ، ولهذا يعبر القرآن الكريم عنهم بالحضور

٣- الفعل والعمل وهناك كلمتان في كتاب الله تعالى هما بحق مظهر من مظاهر إعجازه ، وأعني بهما : الفعل ، والعمل ، ويظهر أن الفرق بينهما من جهتين اثنتين : أما أولا : فان لفظ (عمل) يستعمل لما يمتد زمانه وأما لفظة (الفعل) فعلى العكس من ذلك ، فهو لما يكون دفعة واحدة . والاستعمال القرآني يؤيد هذا الفرق . والآيات الكريمة تشهد له خير شهادة قال تعالى { وعملوا الصالحات}) [البقرة : ٢٥] (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل } [سبأ:١٣] { وقل اعملوا } [التوبة : ١٠٥] .

أما استعمال مادة الفعل ، فليس لها زمان مستمر ، وانما تحدث دفعة واحدة ، { ألم تر كيف فعل ربك بعاد } [الفجر : ٦] { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) (الفيل : ١] { وفعلت فعلتك التي فعلت } [الشعراء : ١٩) .

وهذا الفرق هو الذي اقتصر عليه السيوطي - رحمه الله تعالى - وهناك فرق آخر لا يقل عنه دقة وروعة . وهو ما ذكره الراغب – رحمه الله تعالى - حيث قال : " العمل : كل فعل يكون من الحيوان بقصد ، فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينسب الى الجمادات، ولم يذكر الراغب – رحمه الله - من الآيات ما بعد تطبيقاً لهذا الفرق وهو ما سنذكره بعون الله فالمتأمل في الذكر الحكيم يجد ما يطمئن به قلبه ، وتطيب به نفسه ، قال تعالى في سورة النور : { ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون] [الآية : ٦١] وقال تعالى في سورة الأنبياء : { قال بل فعله كبيرهم هذا } [الآية : ٦٣] ، وفي سورة الإنفطار. ، فالفعل أسند إلى الحيوان من طير وغيره في الآية الأولى ، وإلى الجماد في الآية الثانية .

٤- ومن هذا القبيل كلمتا : القعود والجلوس . والمتأمل لآي القرآن الكريم ، يجد القعود إنما يستعمل لما فيه لبث ومكث ، أما الجلوس فيستعمل فيما ليس كذلك . قال تعالى { والقواعد من النساء}[النور : ٦٠]{ وقيل اقعدوا مع القاعدين }[براءة :٤٦][في مقعد صدق عند مليك مقتدر } [القمر : ٥٥] ،

أما مادة : جلوس ، فلم تأت إلا في قوله تعالى { إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم } المجادلة : ١١] . وهذه المجالس عادة لا يطول : المكث

فيها ومنه الحديث الشريف « مثل الجليس الصالح وجليس السوء » والحديث الآخر « إياكم والجلوس على الطرقات » متفق عليهما.

٥ - الاعطاء والإيتاء : رغم ما بين هاتين الكلمتين من تشابه في اللفظ ، فبينهما فروق ، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني ، فما هي الفروق بين الإيتاء والإعطاء يا ترى ؟ . ينقل الزركشي في البرهان عن الجويني - رحمهما الله تعالى - أن الإتيان أقوى من الاعطاء في اثبات مفعوله . وهناك فرق آخر بين الاعطاء والايتاء ، وهو أن الاعطاء انما يكون على جهة التمليك ، قال تعالى { هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب } [ص : ٢٩] وقد لا يكون الايتاء على جهة التمليك . وفرق ثالث : وهو أن الايتاء لا يكون إلا للشيء الكثير ، والعظيم الشأن وقد يكون الاعطاء للقليل ، قال تعالى { أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى}[النجم : ٣٣ ، ٣٤] . ويمكننا أن نتدبر الآيات القرآنية على ضوء هذه الفروق التي ذكرناها ، وأول ما يخطر للفكر معرفته ليلمح فيه الفرق بين هاتين الكلمتين قوله سبحانه { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } (النور : ٥٦] وقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون } [التوبة : ٢٩] فانظر كيف عبر عن كل من الزكاة والجزية ، ففي جانب الزكاة استعملت كلمة الإيتاء فيمكن أن نلمح الفروق التي ذكرناها من قبل ، فهي عطاء على سبيل

التمليك من جهة ، وهي أكثر قوة في إثبات مفعولها كذلك ، لأن المؤمنين يخرجونها خالصة من قلوبهم ، ولا كذلك الجزية ، ولقد استعمل الايتاء كذلك بجانب الملك والحكمة ، قال تعالى { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء } (آل عمران :٢٦] وقال تعالى { يؤتي الحكمة من يشاء } [البقرة : ٢٦٩] . {وآتيناه الحكم صبيا] [مريم : ١٢] [وآتيناهم ملكا عظيماً } [النساء: ٤٥]. أما الإعطاء ، فيكفي أن نقرأ فيه هذه الآية { ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون } [التوبة : ٥٨] ، واعطاء المنافقين لا لكونهم يستحقونه ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (أني لأعطي الرجل وغيره أحب ألي منه) (١) وقد يتساءل بعضكم : ماذا تقول في قوله تعالى { إنا أعطيناك الكوثر } [الكوثر : ١] (ولسوف يعطيك ربك فترضى } [الضحى : ٥

) . والجواب عن ذلك .، أن هذا الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم ، هو قليل في حقه ، وهو قليل كذلك إذا قيس إلى ما هو أعظم منه .

٦- السنة والعام : ونقرأ في كتاب الله تعالى آية ذكر فيها كلمتان اثنتان جاءت كل في موضعها لا أقول الذي يناسبها فحسب ، ولكن أقول الذي لا يناسبها غيره ، قال تعالى في سورة العنكبوت (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) [اية : ١٤] . واذا تأملنا كل كلمة على حده نستنتج أن هناك أكثر من فرق بينهما

فالسنة : تلقي من منطوقها ظلال الشدة والقحط والصعوبة ، والعام : على العكس من ذلك ، قال تعالى { ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون } [يوسف : ٤٩] .. فالسنة تدل على القحط ، والعام يدل على الرخاء . وهناك فرق آخر وهو أن السنة تستعمل أكثر ما تستعمل في السنة الشمسية على حين يستعمل العام للقمرية.

٧- الحمد والشكر : بدأ الله كتابه بقوله { الحمد لله رب العالمين } ، ولقد ذكرت هذه الجملة (الحمد لله) مرات عديدة فاتحة لسور عديدة ، ولكن كلمة الشكر ذكرت أكثر من كلمة الحمد ، قال تعالى { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون } (البقرة : ١٥٢] { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم } [ابراهيم : ٧] { رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي } [النحل : ١٩]

ذهب بعض المفسرين إلى أن الكلمتين ذواتا معنى واحد ، والمحققون ذهبوا غير هذا المذهب .

وإذا كان من فرق بين الحمد والشكر فإن الحمد يكون باللسان ، أما الشكر

فلا يختص به اللسان وحده ، وإنما يكون بالقلب والجوارح .

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا وهناك فرق آخر بين الحمد والشكر ، وهو أن الشكر لا يكون إلا مقابل نعمة أما الحمد فإنما يكون لأي شيء حسن ، فأنت قد تحمد إنسانا لشجاعته أو كرمه دون أن ينالك منه شيء ، ومن أجل هذا اختيرت كلمة (الحمد) في فاتحة الكتاب العزيز.

٨- وهاتان كلمتان استعملنا في كتاب الله تعالى ، وهما كلمتا : شك وريب والعجب كل العجب من الذين يحتجون على وجود الترادف في اللغة بقولهم : لو لم يكن هناك ترادف ما صح أن نفسر : الريب بالشك وإنما نعجب من أمره لأننا لا ندري كيف يفسر الريب بالشك ، واستعمال القرآن شاهد لما بينهما من فرق ، بل فروق ، فالقرآن الكريم ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى كالكتاب والساعة ، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم { ذلك الكتاب لا ريب فيه } [البقرة: ٢] ، { وأن الساعة آتية لا ريب فيها }[الحج : ٧] . « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » [الحجرات: ١٥] ، « ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون » [المدثر : ٣١) .

وهذه الآيات الكريمة تجعلنا غير مترددين في أن الريب شيء أكثر من الشك . فالريب يتم عن القلق في النفس وما يختلج فيها من أسباب الغيظ ، ومن تهم تنافي الطمأنينة ، وهذا بعيد عن ساح المؤمنين ، فضلا عن قلبه الشريف - ﷺ - لذلك حيل بينه وبين أن يسند إليه الريب . أما الشك فمع بعده عنه - ﷺ - إلا أن الشك ليس فيه ما في الريب من محاذير ، ذلك أنه أي الشك تردد بين شيئين

وفي التنزيل آية جمعت الكلمتين معا ، وتدبرها يدل على ما بينهما من بون شاسع قال تعالى في سورة المؤمن وهو يحكي لنا خطاب هذا المؤمن الذي سميت السورة باسمه وقوله لآل فرعون ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤] ، وترى من السياق الكريم الفرق الشاسع بين الكلمتين حيث جاءت كلمة الشك مطلقة دون وصف ، لا يفهم منها أكثر من ترددهم فيما جاءهم به عليه السلام ، أما كلمة مرتاب المشتقة من الريب فقد ذكرت مقترنة بالاسراف والاضلال ، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تنم عن سوء أولئك الذين استقر في قلوبهم الريب ، ولو أننا وقفنا مع الآيات القرآنية التي ذكرت فيها إحدى هاتين الكلمتين لوجدنا أن كل كلمة لا يمكن أن تصلح مكان أختها

٩ - اللوم والتثريب والتفنيد : في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام جاءت هذه الكلمات الثلاث ، وهي متقاربة من حيث المعنى ، مما جعل بعض المفسرين يفسر

بعضها ببعض ، فيقول في قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤] ، لولا أن تلومون . ولكن الدقة والإحكام في استعمال الكلمات القرآنية ، يحتمان علينا أن نقف مع هذه الكلمات ، وأن ننظر إلى السباق الذي جاءت فيه كل منها ، فاللوم وهو العذل - ولعله أشدها وأقواها وأكثرها قسوة - جاء من امرأة العزيز ردا على النسوة ، وقد لاكتها ألسنتهن بكل قسوة وفظاعة ، وانتشر حديثها بينهن ، ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٠-٣١] وكان ما حدثنا القرآن الكريم عنه ، ثم قالت لهن ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ ﴾ [يوسف: ٣٢] ، فجاءت كلمة اللوم هنا مستقرة في موضعها أصيلة في مكانها الذي استعملت فيه لايسد عنها غيرها . أما الكلمة الثانية وهي كلمة التثريب ، فلقد جاءت حديثا من يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته بعد أن ظهرت لهم الحقيقة ، وشعروا بالذنب ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩١-٩٢] .

فانظروا إلى سياق هذه الكلمة في كتاب الله ، فلم يقل لا لوم عليكم ، كما جاء في الآية السابقة ، واستعمال هذه الكلمة يدلنا على ما أكرم الله به نبينا يوسف عليه الصلاة والسلام من حسن الخلق ، فهو يقول لهم « لا عتب وتأنيب ، دعوا ما مضى ، ولا تؤنبوا أنفسكم بما كان منكم ، فلا تثريب عليكم اليوم ، فكلمة التثريب هنا لا تسد مسدها كلمة أخرى . أما الكلمة الثالثة وهي التفنيد ، فقد ذكرها القرآن الكريم حديثاً عن يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] ومع أن بعض المفسرين فسرها بقول " لولا أن تلومون " ولكن استعمال القرآن الكريم لها في هذا الموضع يجعل لها كيانها الخاص وظلالها الخاصة كذلك ، فالتفنيد هنا ليس اللوم ، وإنما أصله الإفساد ، قال الراغب " التفنيد : نسبة الإنسان إلى الفند وهو ضعف الرأي.

: ثانيا : استعمال الألفاظ المختلفة في المواضع المتشابهة

ومما يتصل بهذه القضية ، استخدام القرآن الكريم ألفاظاً مختلفة في المعنى . ولكنها جاءت في مواضع متشابهة ، واختص كل موضع بما يلائمه ويناسبه ومن هذه

١- كلمتا : الإلقاء والقذف : فقد وردت كل من الكلمتين في سياق الجهاد ومحاربة الأعداء ، مسندتين إلى الله تبارك وتعالى المنعم على عباده المؤمنين بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم. قال تعالى في سورة الأنفال : (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) [الأنفال : ١٢] ، وقال في سورة الحشر (وقذف في قلوبهم الرعب) [الحشر : ٢] ومن كان له أدنى اطلاع ومعرفة في قضايا اللغة يدرك أن كلمة (القذف) تعطي من الدلالة ، وتلقي من الظلال ما لا يوجد في كلمة (القاء) .

فكلمة (القذف) انما تستعمل لما فيه الشدة والقوة والضخامة، فالإلقاء جاءت في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر ، والتي كانت بين المسلمين وبين قريش ، وكان المشركون من أهل مكة ، لا يجدون ما يتحصنون به إلا تروسهم وأسلحتهم ، لكن كلمة (القذف) جاءت في سورة الحشر ، سورة بني النضير ، وقد كانت لهم حصونهم المنيعة الحصينة ، والقرآن الكريم يحدثنا عن ذلك ، وهو يمتن على المؤمنين (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله) [الحشر : ٢] .

٢- حاد وشاق هاتان كلمتان في كتاب الله ، استعملت كل واحدة منهما في موضع معين ، فقد استعملت الأولى في سياق الحديث عن المنافقين ، واستعملت الثانية في سياق الكافرين ، كما يشهد لذلك ما جاء في سورة براءة في سياق المنافقين (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) [التوبة : ٦٣] ، وفي سورة المجادلة (إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) المجادلة : ٥] (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) المجادلة : ٢٠] ووردت المشاقة حديثاً عن الكافرين في قوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) [الأنفال : ١٣] في سورة الأنفال حديثاً عن المشركين ، و (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) [الحشر : ٤] في سورة الحشر حديثاً عن اليهود .

والسؤال : لم اختصت كل كلمة بموضعها ؟ وللإجابة على ذلك نقول : إن المشاقة أن يكون كل من الفريقين في شق غير الذي فيه الآخر ، ففيها معنى البعد ، أما المحادة : فليس فيها هذا المعنى ، إذ المتحادان يفصل أحدهما عن الآخر علامة - توضع بين الفريقين كحد الأرض ، وهو ما فيها من علامات تميز بين الشركاء ، وهكذا المنافقون يدعون الإسلام بألسنتهم فتجري عليهم أحكامه الظاهرة وليس الكافرون كذلك ؛ لذا استعملت كلمة المشاقة في جانب الكافرين ، وكلمة المحادة في جانب المنافقين ؛ لأن المنافقين يدعون الإسلام بألسنتهم .

٣- وهاتان كلمتان متجاورتان في سورة آل عمران :

إحداهما : في قصة زكريا عليه السلام : (قال رب أنى يكون لي غلام وقد

بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء) [آل عمران : ٤٠) .

والأخرى : في قصة مريم : (قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر .

قال : كذلك الله يخلق ما يشاء) [آل عمران : ٤٧] . فلقد عبر بالفعل (يفعل ما يشاء) في الآية الأولى ، لأن لفظ الفعل غالباً ما يجري على قانون الأسباب المعروفة . وعبر بـ (الخلق) في الثانية (يخلق ما يشاء) ، فالخلق يجري في الايجاد والابداع . ولما كان ايجاد يحيى من زوجين كسائر الناس ، عبر عنه بالفعل . لكن إيجاد عيسى - عليه الصلاة والسلام - جرى على غير قانون الأسباب والمسببات فعبر عنه بالخلق، ، أما ذكر الغلام في سورة مريم (قالت : أنى يكون لي غلام) فموافقة لجبريل حينما قال لها (: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا

٤- الإغراء والإلقاء : ، ولنستمع : في سياق الحديث عن أهل الكتاب سمحوَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَسجى [المائدة: ١٤] وفي آية أخرى سمحوَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَسجى [المائدة: ٦٤] . جاءت كلمة الاغراء حديثا عن النصارى ، أما كلمة الإلقاء فجاءت في سياق الحديث عن اليهود ، وان كان كثير

من المفسرين ذهب إلى أن قوله تعالى (وألقينا بـيـنـهـم العداوة) أي بين اليهود والنصارى ، وإذا أردنا تفسيرا قريبا للإغراء والإلقاء، فإن الإغراء ببساطة هو الإلصاق بحيث إذا ألصقت شيئين معا يصعب فصلهما ، فهو مأخوذ من الغرا (بفتح الغين) أو الغراء (بكسرها) وهي المادة المعروفة عند كثير من الحرفيين ، أما الإلقاء فهو مجرد الطرح وبعد هذه المعرفة اللغوية ، إذا أردت أن تتذوق البيان في الآيتين الكريمتين ، فلا بد لك من التاريخ والواقع ، فلقد حدثنا التاريخ أن العداء بين الأمم النصرانية مستحكم ملصق بهم ، وعليك أن تقرأ التاريخ يحدثك عن تلك الحروب الطاحنة ، بين الشعوب الأوروبية والطرائف النصرانية. أما الإلقاء : فهو مجرد الطرح كما علمت ، فنحن نعلم أن ما بين اليهود من عداوة لم تصل إلى ما هي عليه عند النصارى

الدثار والتزمل : قال تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص – ٥ منه قليلا ، أو زد عليـه ورتل القرآن ترتيلاً } [المزمل : ١-٤] وقال تعالى (يا أيها المدثر ، قم فأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر) [المدثر : ١-٤] ، وكثيرون الذي يفسرون الدثار والتزمل بمعنى واحد ، إلا أن اختيار الكلمة القرآنية في موضعها ، يحتم علينا أن نبحث عن سر هذا الاختيار ، فالدثار هو اللباس الذي يلي البشرة ، أما التزمل فهو يعطي معنى زائدا على ما سبق ، فالتزمل فيه معنى الثقل والكثرة ، ومنه الزوامل التي تحمل الأحمال الثقيلة ، ولما كان الدثار أمرا لابد منه لكل من يقابل الناس ، جاء قوله سبحانه (يا أيها المدثر قم فأنذر) ولما كان المتزمل المتلفف، المتثقل بما يضعه على بدنه من ثياب وغطاء وغشاء – التزمل عادة إنما يكون في الليل عند النوم - ، جاء قوله سبحانه (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) . وهكذا تجد الكلمات القرآنية كل في موقعها الذي يصلح لها ، وفي موضعها الذي لا تصلح هي إلا به .

ثالثا : رسالة الحرف في كتاب الله تعالى

ما ذهب إليه كثير من العلماء من تناوب الحروف بعضها مكان بعض ، قضية غير مسلمة أو مستساغة في كتاب الله تعالى ، فكل حرف له مدلوله الخاص به .

سئل أبو العالية عن قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) فقال أبو العالية : هو الذي يسهو في صلاته ، فقال الحسن : لا ، يا أبا العالية : إن الله يقول ((عن صلاتهم) ولم يقل في صلاتهم

: استعمال الأحرف المختلفة في أماكن متشابهة

١- في سورة البقرة قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (البقرة : ١٣٦] وفي سورة آل عمران قال (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) [آل عمران : ٨٤] . فنحن نرى أنه عبر بـ (إلى) حينما كان الخطاب للأمة لأن القرآن إنما أنزل اليهم ، وتجيء (على) حينما كان الخطاب للرسول – ﷺ – لأن القرآن إنما أنزل عليه وحده .

٢- ومن هذا القبيل ما نقرؤه في سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم) (النساء : ٥) وبعدها بآيتين نقرأ قوله سبحانه (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) [النساء : ٨] . فلقد عبر بحرف الجر (في) في الآية الأولى لغرض رائع ، وهدف بديع ، ذلك أن إعطاء أولئك من المال لا ينبغي أن يكون من أصله وعينه ، وإنما من ربحه وثمرته فهي دعوة لاستثمار المال واستغلاله فيما يحل.

٣- ونقرأ قوله الله تبارك وتعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [التوبة :٥١) ولم يقل (علينا) فوضع اللام هنا مقصود ، متفق مع نفسية المسلمين الذين يعدون كل ما يأتي من الله تبارك وتعالى خيرا ونعمة .

٤- وحينما نقرأ سورة الفتح نجد ربنا تبارك وتعالى يمتن على نبيه – ﷺ – وأصحابه – رضوان الله عليهم – بمنن كثيرة ، منها انزال السكينة وهذه المنة تذكر مرات ثلاث في ثلاث آيات ، تعدى فعل الإنزال في احداها بحرف الجر (في) ، وفي الآيتين الأخريين بحرف الجر (على) وإليكم هذه الآيات لتتدبروها : الآية الأولى : (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) [الفتح : ٤] والآية الثانية : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) [الفتح : ١٨] . والآية الثالثة : (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)] [الفتح:٢٦] . والمتتبع لأحداث الحديبية يدرك ما أصاب المسلمين من هزات ، وما أقلقهم من أحداث ، كان أولها ، حينما صدهم المشركون عن البيت ، ثم تلا ذلك ما أشيع عن قتل عثمان – رضي الله عنه – وما أعقب ذلك من بيعة الرضوان " . ، ولعل أشدها ما كان عند إبرام الصلح

إذن كان المسلمون بحق بحاجة ماسة إلى هذه السكينة في هذه المواطن الثلاثة ، لذا أنزلها الله على رسوله وعلى المؤمنين حينما صدوا عن البيت بسبب حمية الجاهلية ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) [الفتح: ٢٦] فالمؤمنون

يذكرون مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لانزعاجهم جميعاً من صد المشركين إياهم ومنعهم من أن يتموا عمرتهم . ولكن المؤمنين خصوا بهذه السكينة عند بيعة الرضوان كرامة من الله ، كما رأينا في الآية الكريمة (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) عدى الإنزال بـ (على) . أما الموضع الأخير ،وهو ما كان عند إبرام الصلح ، وقد وجد المسلمون في أنفسهم من القلق والألم والاضطراب ، فلقد عدى الإنزال بـ (في) ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) فلقد كان المسلمون بحق بحاجة إلى السكينة تتغلغل في قلوبهم في هذا الموطن عند ابرام الصلح ؛ لذا عدى الإنزال بـ (في) دون الموضعين الآخرين ، لأن المؤمنين كانوا أكثر حاجة إلى هذه السكينة في هذا الموطن ، وبدهي أن هناك فرقا كبيرا بين (في) و (على) إذ تستعمل (في) للظرفية، وهذا يدل على تغلغل السكينة في أعماق المؤمنين وقلوبهم .

٥- ومن هذا ما نجده من أسرار بيانيه في استعمال الحروف بين هاتين الآيتين قال تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء لكم فيه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) النحل : ٦٠] وقوله سبحانه (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم وليثبت به الأقدام) [الأنفال : ١١] فالآية الأولى التي ذكر فيها اللام وما يشبهها ، جاءت تبين أن الله أنزل الماء من أجلهم ، لتحيا به الأرض ، وليشربوا وأنعامهم وهكذا نجد أن الآيات الكريمة التي ذكرت فيها نعمة إنزال الماء يذكر فيها هذا الحرف اللام (لكم) . ولعل الآية الوحيدة التي ذكر فيها حرف الجر على ، الآية الثانية (وينزل عليكم) ، وهي كما نعلم جاءت تتحدث عن نعم الله على المؤمنين في بدر . فما سر ذلك. إن إنزال الماء من السماء ، من أجمل نعم الله ، فلا تتم الحياة إلا به « لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا انعاما وأناسي كثيراً » ؛ لذا كانت اللام هي التي تدل هذه الدلالة الواسعة . أما في آية بدر فكان إنزال الماء لحكمة اقتضاها الظرف الذي يعيشه المؤمنون في هذه الفلاة من الأرض ، فلقد كان إنزال الماء عليهم ؛ لأن هدفه تطهير أبدانهم مما أصابها من حدث ، وذلك ليقابلوا العدو بنفوس طاهرة ، وأجسام طاهرة كذلك . وأيد متوضئة

٦- ومن هذا القبيل قوله سبحانه (وأوحى ربك إلى النحل) (النحل : ٦٨) (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (القصص : ٧] (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) (الشورى : ٥٢) (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) يوسف : ١٢] (إنا أوحينا

إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) [النساء : ١٦٣] . وهكذا تجد الآيات التي جاء فيها الوحي جاءت على هذا النمط ذكر فيها حرف الجر إلى ، ولكن آية واحدة في كتاب الله وجدناها تخرج عن هذا النمط ، ويخالف فيها ، ذلكم السياق ، حيث لا يتعدى الفعل فيها بإلى ، وإنما بذكر حرف آخر وهو اللام ، وهذه الآية هي قوله سبحانه (إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها ، يومئذ لحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها) (الزلزلة : ١ – ٥) وهذه الآية دون غيرها ، كان الوحي فيها للجماد : وهي الأرض ، أما غيرها من الآيات فكانت إما للأنبياء عليهم الصلاة السلام ، وإما لغيرهم من العقلاء ، وإما لغيرهم من ذوي الحياة ، كالنحل مثلاً ، وهكذا نجد أن تغير الحرف إنما جاء يشير إلى أمر وقضية ، حري بها أن تتدبر . - . . الوحي للجماد عدي باللام ومنه قول الراجز (وحى لها القرار فاستقرت) وذلك أن الأرض سخرت دون أن يكون لها جهد في هذا الوحي أما غير الجماد فليس كذلك لأن له جهدا فيما أوحي له سواء كان هذا الجهد فكرا وتدبيرا ، كما هو من العقلاء ، أم كان سيرا وإلهاماً كما هو لغير العقلاء و كما تفعل النحل . ثم إن آيات الوحي كلها كان الحديث عنها في الدنيا ، أما هذه الآية الأخيرة فإن الحديث عنها في الآخرة.

حذف الحرف وذكره :

بعد أن حدثناك عن استعمال الأحرف المختلفة في أماكن متشابهة ، سنحدثك عن ذكر حرف في آية وحذفه من أخرى ، مع ما بين الآيتين من تشابه ، فلماذا حذف ؟ ولماذا ذكر ؟.

١- قال تعالى عن ثمود لنبيهم صالح عليه السلام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٥] ، أما قوم شعيب عليه الصلاة والسلام فهذه مقالتهم كما جاءت في كتاب الله ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦] .فنحن أمام آيتين متحدثين في الجواب : ذكر حرف العطف في إحداهما ولم يذكر في الأخرى ، فما هو السر البياني يا ترى.
يقول الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله: إن كلمة مسحرين لها معنيان : يمكن أن تفسر بالمسحورين الذين أصيبوا بمس واختلط الأمر عليهم ، ويمكن أن تفسر بمن لهم معدة ورئة بأكلون ويشربون ، والذي نراه هنا التفصيل فما قاله قوم صالح – عليه الصلاة والسلام – تعني أنهم بشر يأكلون ويشربون ، وما قاله قوم شعيب – عليه الصلاة والسلام – قصد به من المسحورين ، وحجة ذلك أن كلمة مسحر : حينما تفسر بصاحب المعدة والرئة ، الذي يأكل ويشرب فإنها تكون مساوية للبشرية ، أما إذا فسرت بالمسحور ، فإنها لن تكون كذلك.، إذ معنى المسحرين الذي قصده قوم صالح هو أنك ذو رئة تأكل وتشرب ، ثم جامت الجملة الثانية تؤكد هذا المعنى (ما أنت إلا بشر مثلنا) ، فإن كونه يأكل ويشرب ، معناه أنه بشر ، فالجملة الثانية إذن ليست أجنبية عن الأولى ، بل هي تأكيد لها ، فبين الجملتين كمال اتصال كما يقول علماء البلاغة ، لذا لا يجوز أن تتوسط الواو بينهما ، لأن العطف يقتضي التغاير ولو وسطت الوار لكان لكل من الجملتين معنى يختلف عن معنى الأخرى . وعلى العكس من هذا ما قاله قوم شعيب و إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا ، فكلمة (مسحرين) يجب أن تفسر بالمسحورين الذين مسهم الشيطان واختلط عليهم الأمر ، وهذا يختلف عن كونهم بشرا ، فقوم شعيب الصقوا بنبيهم تهمتين : كونه مسحورا أولا ، وكونه

بشرا ثانيا ، ولا شك أن كلا من التهمتين تختلف عن اختها ، لذا وسطت واو العطف ، لأن العطف يقتضي التغاير كما قلنا ،

.

٢- نقرأ في سورة الواقعة (أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما) (الواقعة : ٦٣] ثم نقرأ قول الله تعالى عقب الحديث عن (الماء) (أفرأيتم ما تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا) (الواقعة : ٧] فلماذا جاءت اللام في آية وحذفت من الثانية ؟ الآية الأولى جاءت حديثاً عن الزرع ، والثانية عن الماء . ونحن نعلم أن قدرة الناس فيما يظنون على التحكم بالزرع أكبر من قدرتهم على التحكم في أمور الماء ، لذلك جاءت هذه اللام المؤكدة ، فيما يظن الإنسان أن له قدرة عليه ، وهو الزرع ، لكنها حذفت عند الحديث عن الماء ، حيث يعترف الإنسان بعجزه وتقصيره في هذا المجال.

٣- تحدث القرآن ، الكريم عما خص به أهل الجنة ، وعما أنعم الله به على الناس في سورة (المؤمنون) يمتن الله على الناس بقوله ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٩] ، ونقرأ في الدنيا ، ففي سورة الزخرف ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣] . فلم جاءت هذه الواو في الآية الأولى حديثاً عن نعم الله على الناس في هذه الحياة ، وحذفت عندما كان الحديث عن الجنة وأهلها ؟ ، إن جنات أهل الدنيا ليست كلها معدة للأكل ، فهناك أغراض كثيرة ، لعل في مقدمتها التجارة ، ومنها التصدق والإهداء .. أما فاكهة أهل الجنة فليست كذلك فإن الهدف الرئيس والغرض الأساسي منها هو الأكل وحده .

٤- قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال سبحانه ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]

فالآية الأولى جاءت تحذر المؤمنين من أمرين اثنين ، الوهن والحزن ، والوهن والحزن أمران ليسا من الفضيلة ولا من الخير في شيء ، فلا يجوز للمؤمنين أبدأ أن يركنوا إلى واحدة من هاتين الصفتين .

أما الآية الثانية : فكان النهي فيها عن امرين اثنين كذلك : الأول الوهن ، أما الثاني فهو الدعوة إلى السلم (الصلح والمسالمة)، ولكنه لم يقترن بحرف النهي (لا) الذي اقترن به الحزن ! وما ذلك – والله أعلم بما ينزل - إلا لأن الحزن شر في كل وقت ، أما الدعوة إلى السلم فليس كذلك، إنما هو شر حينا ، ولكنه قد يكون خيرا حينا آخر ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١] ولكنه شر حينما يكون استسلاما وحينما يقترن بالضعف والوهن ، كما هو الشأن في أيامنا هذه . فلو أنه قيل (فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم) لكان محرما على المسلمين في كل حين وعصر ، وليس هذا من شأن الإسلام ، لكن نظم الآية على ما هو عليه (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم) جاء يحرم على المسلمين الدعوة إلى السلم الناشئة عن الضعف ، والتي هي خضوع وخنوع وذل لا يرتضيه الإسلام ولا يليق بالمسلمين .

رابعا : الجملة القرآنية :

في الجملة القرآنية مظاهر كثيرة من مظاهر الإعجاز ، ومن هذه المظاهر ما تجده في بعض الجمل من تأكيد على حين ترى غيرها مما يشبهها خالية من هذا التأكيد ، ومن مظاهرها كذلك الحذف والذكر ، فقد نجد جملاً ذكرت فيها بعض الكلمات ، على حين نجد جملا أخرى مشابهة لها قد حذفت منها. كذلك التقديم والتأخير ، قد تجد بعض الجمل قدمت فيها بعض الكلمات ، ولكن هذه الكلمات نفسها أخرت في جمل أخرى . وسنذكر بعض الأمثلة فيما يأتي: .

١- التأكيد :

يقول الله تعالى { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم] [الزمر : ٥٣) ويقول سبحانه (وإذا

جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقال سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم } [الأنعام : ٥٤] .

هاتان آيتان من كتاب الله تعالى ختمت الأولى بقوله سبحانه (أنه هو الغفور الرحيم] وختمت الثانية بقوله سبحانه { فأنه غفور رحيم] ، ففي الجملة الأولى جاء التأكيد بضمير الفصل (هو) وضمير الفصل هذا إنما يؤتى به للتأكيد ، ولفوائد بلاغية ذكرت في كتب القوم . فإذا أردت أن تؤكد على أن الإسلام هو علاج الأمة من أمراضها جميعا ، فإنك تقول (الإسلام هو العلاج) فتأتي بهذه الكلمة (هو) .

أما الفرق الثاني بين الجملتين فهر أن الجملة الأولى جاء فيها الخبر معرفاً (الغفور الرحيم) وليست كذلك في الجملة الثانية ، وتعريف الخبر يفيد الاختصاص والقصر ، ألا ترى أنك تتذوق الفرق بين قولك (الله ناصر) وبين قولك (الله هو الناصر) ، لأنك في الجملة الأولى كل الذي أثبته وجود النصر من الله ، إلا أنه لم يفهم من هذا القول أن غير الله لا ينصر ، أما الجملة الثانية تثبت أن النصر من عند الله وحده ، وأنه لا ناصر إلا هو تبارك وتعالى . وذلك لأن الجملة الأولى كانت تخاطب أولئك المسرفين على أنفسهم ، الخائفين ، القانطين ، وأن الجملة الثانية إنما جاءت حديثا عن المؤمنين الذين لم يكن منهم كبير خطأ ولا عظيم ذنب ، ولا كثير معصية التأكيد في الجملة الأولى – إذن – كان متفقا مع نفسية أولئك الذين خاطبهم القرآن وكأنهم أسرفوا على أنفسهم ولا ضرورة له في الجملة الثانية.

(٢) يقول الله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) [يوسف :٢] (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [القدر : ١] { إنا أنزلناه في ليلة مباركة } [الدخان : ٣] ، { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } [النحل :٤٤] ويقول سبحانه { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } [الحجر : ٩] . قف مع هذه الآية الأخيرة وستجد أن نظمها يختلف عن الآيات السابقة ، فهذه الآية الكريمة كثرت فيها التأكيدات ، ولعلك تلحظ هذا ، ففي الجملة الأولى من الآية الكريمة ذكر ضمير الفصل نحن ، وفي الجملة الثانية منها (وإنا له لحافظون } ذكر مع إن واسمها لام التأكيد ، ثم جيء بهذه الجملة الإسمية { إنا له لحافظون) . وبالجملة فقد أكدت هذه الآية الكريمة بمؤكدات كثيرة ، فهذه الآية الكريمة جات تتحدث عن شأن خطير من شؤون هذه الأمة ، هو تكفل الله تبارك وتعالى يحفظ هذا الكتاب ، فلم يكله إلى الناس ليحفظوه كما وكل الكتب السابقة ، وفي هذا إقامة الحجة على الأمة فالأمم أن بدلت وغيرت فذلك لتبدل كتبها ، ولكن القرآن باق لا يتغير ، فأي عذر للأمة إن هجرته وتركته واستبدلت به غيره.

(٣) يحدثنا القرآن الكريم عن نبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهو يدعو قومه ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢] يلاحظ وجود ضمير الفصل مقترنا ببعض الأفعال دون بعضها الآخر ، فقد جاء هذا الضمير مقترنا بالأمور التالية : الهداية ، الإطعام والإسقاء و الشفاء ، أما الخلق ، والإماتة ، والمغفرة ، فجاءت خالية من هذا الضمير ولم يكن ذلك ناشئا عن التفنن في العبارة ، أو الاكتفاء بذكره في بعض المواضع دون بعضها الآخر ، وإنما جاء ذلك لغرض وهدف ؛ ذلك أن قضية الخلق ، والإماتة والإحياء ، والمغفرة لا ينازع فيها أحد ، فلا يستطيعون أن يدعوها لأصنامهم التي يعبدونها ويعكفون عليها فلم تكن هذه القضايا بحاجة إلى التأكيد بهذا الضمير . أما الأمور الأخرى وهي الهداية والشفاء ، والإطعام والسقيا ، فهي مما يدعون أن لغير الله فيها شأنا وغيرهم يطلبون منها الهداية والتوفيق والشفاء من أمراضهم ، وإذهاب الفقر عنهم ، ولذلك وجدناها مقترنة بضمير الفصل ، لأنها بحاجة إلى التأكيد ، الذي يزيل شيهات النفس ، ويجعل هذه الأمور جميعاً من شأن الله تبارك وتعالى وحده

ب- الحذف والذكر :

(١) قال تعالى حديثا عن الزوجين اللذين لا يستطيعان مواصلة الحياة الزوجية {وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما } [النساء : ١٣] وقال تعالى يخاطب المؤمنين ليحافظوا على شخصيتهم وعقائدهم { يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم] (التوبة : ٢٨] .

فلماذا ذكر في الثانية قوله (أن شاء) ولم يذكر في الآية الأولى ؟ مع أن كل شيء بمشيئته سبحانه ؟ يقول الشيخ فضل عباس والذي يلوح لي - والله أعلم بما ينزل - أن الآية الأولى جاءت خطاباً لبعض الأفراد الذين تعسر عليهم مواصلة المسيرة مع أزواجهم ، رجالا كانوا أم نساء ، فأراد الله تبارك وتعالى أن يبين لهم سعة فضله وواسع رزقه ، وعظيم تيسيره ، أما الآية الثانية فجاءت خطابا للأمة ، والأمة لابد أن تتعود التضحية ، للمحافظة على عقائدها ومقدساتها مهما كلفها ذلك من ثمن ، وقد يؤدي بها ذلك إلى أن تحرم بعض المكاسب ، وتتحمل كثيراً من الأعباء ، ولذا ذكر فعل المشيئة في هذه الآية التي تتحدث عن الأمة .

(٢) يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها)

[النساء : ١٩] مع أن أكثر المنهيات كانت تلى حرف النهي مباشرة أو لا تقتلوا أولادكم) [الاسراء : ٣١] (و لا تقريرا الزني) [الإسراء : ٣٢] ، (ولا تقربوا مال اليتيم) [الاسراء : ٣٤] (لا يسخر قوم من قوم) [الحجرات : ١١] (ولايغتب بعضكم بعضا) [الحجرات : ١٢] .

ولكن آية النساء جاء نسقها غير هذا كله ، فلم يقل فيها (لا ترثوا النساء كرها) .

يقول الدكتور فضل عباس أن كلمة (لا يحل) تجيء بجانب القضايا التي كان الناس يزاولونها دون أن يروا بها بأسا أو حرجا ، أما غيرها من المنهيات فهي أمور تنفر منها الطباع أو ينكرها العرف ، فالقتل والزنا ، وأكل مال اليتيم ، وأكل أموال

الناس بالباطل لا يقرها عقل ولا يحلها شرع ، أما ما يظنه بعض الناس حقا لا مرية فيه ولا غبار عليه وهو في حقيقته حرام ، فإننا نجد القرآن يعبر عنه بأسلوب آخر حيث يلي حرف النهي هذه الجملة " يحل " .

٣- قال تعالى { ومن يشاقق الله ورسوله ، فإن الله شديد العقاب } [الانفال : ٤] وقال سبحانه (ومن يشاق الله ، فإن الله شديد العقاب } [الحشر : ٤].

فالآية الثانية آية الحشر ، التي تتحدث عن اليهود وعن بني النضير خاصة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ [الحشر: ٢] ، اما الآية الأولى آية الأنفال التي ذكر فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها تتحدث عن العرب وعن أهل مكة بخاصة ، فلماذا ذكر لفظ الجلالة وحده في آية الحشر ، وذكر معه الرسول عليه الصلاة والسلام في آية الأنفال ؟ لأن عداوة أهل مكة كانت عداوة مزدوجة ، فهي عداوة للإسلام من حيث هو دين لأنه جاء يبطل عقائدهم وكثيرا من أعرافهم ، ثم هي بعد ذلك عداوة لشخص الرسول عليه وآله الصلاة والسلام ، حيث الحزازات والنعرات والعصبية القبلية ، فهم ينكرون أن يخص الله من بينهم محمداً ،ولم يكن ذا مال ، وكان غيره أولى منه في ظنهم ولهم زعماء ووجهاء أولى- بزعمهم – بالنبوة- من محمد عليه الصلاة والسلام ، ولقد حدثنا القرآن عن هذا الذي يجول في أنفسهم فقال سبحانه ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وينكر عليهم هذا القول بقوله ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ﴾ [الزخرف: ٣٢] وليست عداوة اليهود كذلك ، إن عداوة اليهود للدين أيا كان نبيه هاشميا أم غير هاشمي ، قرشيا أم غير قرشي.

.

٤- ذكر الجهاد كثيرا في كتاب الله تبارك وتعالى أمرا للمؤمنين به تارة وثناء عليهم تارة أخرى .

فمن الضرب الأول قوله تعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] ومن الضرب الثاني قوله سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢١] وهكذا نجد الآيات الكريمات في كتاب ربنا وهي تذكر الجهاد ، تذكر له متعلقين اثنين :

- فهو بالأموال والأنفس من جهة .

- وهو في سبيل الله من جهة أخرى .

كل ما في الأمر قد يتقدم المتعلق الأول كما جاء في الآية الأولى ، وقد يتقدم

المتعلق الثاني كما جاء في الآية الثانية . والذي يعنينا الآن هذه الآية الكريمة ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩] .فعبارة (في سبيل الله) لم تذكر في هذه الآية الكريمة .لأنها تتحدث عن الرسول – صلى الله عليه وسلم - وأصحابه البررة الذين شرفوا بمعيته ، وهؤلاء لا يكون جهادهم -بالطبع - إلا في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، من أجل هذا لم تذكر " في سبيل الله .

أما غيرها من الآيات الكريمات ، فكانت إرشاداً للمؤمنين أن يخلصوا العمل

فلا تشوبه شائبة رياء ليكون مقبولا عند الله - تبارك وتعالى - ؛ ولن يكون

كذلك إلا إذا كان في سبيل الله .

٥ - نقرأ في كتاب الله - تبارك وتعالى هذه الآيات : قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا

يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩] .و قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ١٩-٢٥] .

فكلمة (معلوم) ذكرت في آيات سورة المعارج ، ولم تذكر في آيات سورة

الذاريات ، وسبب ذلك والله اعلم أن الصفات التي ذكرت في سورة الذاريات ، لا يبالي أصحابها بالمال الذي ينفقونه ، فهم لا يخشون من ذي العرش إقلالا ، وكلما زكت نفس الإنسان كلما تغلب على شحه، ولذلك لم تذكر كلمة (معلوم) فإنفاقهم ليس محدودا.

أما آية المعارج ، فكل ما ذكر فيها المصلون، ولذلك ذكرت كلمة (معلوم) لنبين أنهم ينفقون ولكن بحدود فإنفاقهم أقل من المذكورين في سورة الذاريات.